بـــدأت بعقـــار فـــرنـــسـي ملـــوث وكـــادت تتكـــرر مـــؤخـــراً بعقـــار إيـطـــالـي!!

مأساة الايدز في العراق... ما زالت تداعياتها مستمرة

إياد عطية الخالدي

- ارقام وحقائق عن العقار الفرنسي Factor8 الملوث بفايروس الإيدز
- ضحايا اودعوا نقرة السلمان
- العراق فشل في مقاضاة ماريو الفرنسية وخسر مبالغ طائلة
- أكثر من ٣٠٠ مصاب لم يبق منهم سوى ٦٢ على قيد الحياة
- حين اصيب (المسؤولون) بالارتباك والهلع وأخفوا الحقائق

كل ما فعلته دائرة صحة ذي قار، أنها التزمت بالتعليمات الصادرة من وزارة الصحة، لولا ذلك لكادت كارثة العقار الفرنسي المسمى عامل التخثر الثامن **Factor8 ancentrat** المخصص لمرضى النزف الوراثي (الهيموفيليا) الذي تم استيراده عام ١٩٨٦ ان تتكرر، وهذه المرة عن طريق العقار (**antco**) الخاص بالحوامل ذوات الدم السالب، فقد أظهرت نتائج الفحص المختبري أن (٥٠٠) حقنة من هذا العقار هي كل الكمية التي قدمتها القوات الإيطالية إلى دائرة صحة ذي قار بشكل مساعدات إنسانية ملوثة بفايروس العوز المناعي (الإيدز).

لو كنت وزيراً للصحة

وصف الدكتور وضاح حامد مدير البرنامج الوطني للايدز تصرف دائرة صحة ذي قار، بارسالها شحنة الدواء الإيطالي إلى دائرة الرقابة الدوائية في وزارة الصحة لفحصه والتأكد من سلامته قبل استخدامه بالتصرف الرائع وقال: لو كنت وزيراً للصحة لما ترددت في مكافأتهم، لقد انقذوا البلاد من كارثة حقيقية وأضاف: مثل هذه الأخطاء يمكن أن تمر على أن كلفتها باهظة وباهظة جداً. وأوضح الدكتور وضاح حامد مدير البرنامج الوطني للايدز، أن هذا النجاح في الكشف عن هذا العقار الملوث يعطي إشارة أخرى على أن الضوابط والتعليمات التي وضعتها وزارة الصحة ناجحة وإن العراقيين. يملكون القدرة والكفاءة لحماية بلدهم من هذا المرض المميت.

Factor8

برغم مرور تسعة عشر عاماً على كارثة العقار الفرنسي المسمى (**Factor8**) الملوث بفايروس الإيدز ما زالت نتائجه وآثاره المأساوية قائمة حتى الآن.

كان أمراً ماساوياً ان يسري مرض الأيدز أول ما يسري في دماء الأطفال العراقيين كانوا اصلاً ضحايا لمرض مميت آخر هو (الثلاسيما) ليضيف لهم حظهم العاثر مرضاً مميتاً آخر.

والأسوأ من ذلك أن هؤلاء نقلوا المرض إلى ذويهم وأقاربهم، ١٩٠ مريضاً هم ضحايا العقار الفرنسي الملوث بالايدز بحسب إحصاءات وزارة الصحة نقلوا المرض إلى آخرين ليبلغ العدد أكثر من ٣٠٠ مصاب، لم يبق منهم سوى ٦٢ مصاباً بوفاة آخر مريض في مدينة الموصل وكان نتيجة تعاطيهم العقار بصورة مباشرة والبقية انتقل إليهم المرض عن طريق الجنس أو عن طريق الأم الحاملة للفايروس أي بالولادة.

حالات أخر

لكن وزارة الصحة العراقية سجلت حالات أخرى أطلعنا عليها موظفون قريبون من تفاعلات هذه القضية ومن هذه الحالات إصابة مهندس سافر إلى إحدى دول أوروبا الشرقية وعاد حاملاً الفيروس هدية لزوجته لتشاركه الإصابة التي انتقلت إليه عن طريق الجنس!!

وحصل الأمر نفسه مع أحد ضباط المخابرات، ونقله ايضاً إلى زوجته وربما إلى أخريات!

واكتشفت حالة أخرى في المركز الوطني لنقل الدم عندما جرى فحص دم أحد الوافدين المصريين وادعى المصاب حينها أن المرض انتقل إليه في العراق، حيث كان يعمل في معارض البياع لبيع وشراء السيارات، ويمارس الجنس مع مومسات يترددن على المعارض، وتم تسفيره في عام ١٩٩٢ إلى بلاده.

اكتشاف المرض

لم يستطع العراقيون اكتشاف أن العقار المورد إليهم من فرنسا ملوث بفايروس الإيدز، إلا بعد كشفه من قبل أطباء في إسرائيل والمغرب استوردتا هذا العقار من الشركة الفرنسية في الوقت نفسه الذي استورد فيه العراق ذلك العقار المميت، الذي اكتشفه أحد الأطباء بالمصادفة بعد العثور على بقايا منه في أحد مذاخر وزارة الصحة، فقام بفحصه وكانت النتيجة مرعبة. أما ضحاياه الذين كانوا يتساقطون واحداً إثر آخر فلم يثيروا اهتمام أحد خاصة أنهم مرضى (الثلاسيما).

كان لاكتشاف المرض في العراق وبأعداد كبيرة ونتيجة انتقاله عن طريق عقار ملوث، ان وضع (المسؤولين) آنذاك في حالة ارتباك، ولم يستطيعوا التعامل مع هذه الحالة بطريقة علمية، واتخذت وزارة الصحة ووزارة الداخلية آنذاك إجراءات ارتجالية.

فقد شكلت لجنة خاصة للإشراف على هذا الموضوع الذي اعتبرته الحكومة خطرا، واحيط عمل اللجنة بسرية وجرى جمع مرضى الثلاسيما في أحد مستشفيات بغداد أولاً ثم جرى فحص عوائلهم، وبعد ان تم تحديد عدد المصابين الذي بلغ أكثر من ٢٦٠ مصاباً، جرى احتجازهم في نقرة السلمان. وكان معظم المصابين من صغار السن والشباب في أعمار صغيرة مع زوجاتهم وأطفال رضع، ولم يحصل المرضى على رعاية صحية، فتوفي العديد منهم في الحجز.

ويذكر أحد المسؤولين في وزارة الصحة أن والد أحد الأطفال المرضى المحتجز في نقرة السلمان، قدم شكوى ضد وزارتي الصحة والداخلية، لمنعه من رؤية طفله المحتجز إلى صحيفة محلية ونشرها محرر الصحيفة الذي لم يكن يعرف حينها أن مرض العوز المناعي يعني (الإيدز) وجرى استدعاء الصحفي والتحقيق معه ثم نشر تعميم يمنع فيه وسائل الإعلام من تداول هذا الموضوع.

رحلة عذاب

بعد سنوات من البحث والإطلاع ومشاركة الأطباء العراقيين في مؤتمرات حول مرض الإيدز خارج العراق، قررت اللجنة الإفراج عن المرضى ونقلهم إلى مستشفى ابن زهر في بغداد بعد أن تأكد لهم أن هذا المرض لا ينتقل إلى الآخرين إلا بثلاث وسائل هي الممارسة الجنسية، نقل الدم أو مشتقاته أو العقارات ذات المنشأ البشري ولا ينتقل بالملامسة أو عن طريق الهواء كما كان يعتقد بعض (المسؤولين) العراقيين آنذاك، وبدأت مرحلة جديدة من العناية بهم والسماح لهم برؤية عوائلهم، وممارسة حياتهم بعد تقديم ضمانات من قبلها وتشديد الرقابة عليهم وتخصيص أحد المستشفيات لمعالجتهم.

لكن الحكومة ظلت تنظر إليهم على أنهم منبوذون ومصدر خطر حقيقي يهدد سمعة البلاد. ولم يجر التعامل معهم على أنهم ضحايا مرض انتقل إليهم عن طريق الخطا.

كيف دفن موتى الإيدز؟

توفي العديد من المصابين بمرض الإيدز قبل أن يتم الكشف عنه ومن دون أن تشخص الدوائر الصحية ان سبب وفاتهم يعود إلى إصابتهم بفايروس الإيدز، ودفنوا بطريقة اعتيادية لكن وزارة الصحة اتخذت إجراءات احترازية بعد الكشف عن المرض في العراق وتشخيص المصابين، واستفاد العراق من مساعدة منظمة الصحة العالمية في كيفية التعامل مع المصابين بعد وفاتهم، يقول مصدر مطلع في وزارة الصحة: يجري دفن موتى مرض الإيدز بإشراف لجنة صحية خاصة بعد ان يتم معاملة الجثة بمحلول يقضي على الفايروس ثم يتم حفر قبر للمتوفى لا يقل عمقه عن ثلاثة أمتار ونفى قيام وزارة الصحة أو أية جهة ذات علاقة بعملية حرق لجثة أي شخص توفي من مرضى الإيدز، إذ أن الإجراءات التي يعمل بها العراق جاءت بناء على تعليمات صدرت من منظمة الصحة العالمية".

وعند الاستفسار من الدكتور وضاح حامد مدير البرنامج الوطني للايدز عن عبارة "يقضي على الفايروس" في حديث المصدر المطلع في وزارة الصحة أكد وجود العديد من العقارات والمحاليل التي يمكن أن تقضي على فايروس الإيدز إلا أنها غير مجدية كعلاج لأنها تقضي على الخلية التي يعيش في داخلها الفايروس قبل أن تقضي على الفايروس نفسه، ولذا ننوه أن العبارة التي وردت على لسان المصدر المطلع في وزارة الصحة غير صحيحة علمياً.

رجل كتوم

كان الحوار مع الدكتور وضاح حامد مدير البرنامج الوطني للايدز صعباً فهذا الرجل كان كتوماً، لا تتوقع أن يتبرع بإعطائك معلومة إضافية من دون ان تبذل جهداً.. يقول الدكتور وضاح: نعم أنا حريص على أسرار مرضاي، لأني أعرف عواقب معرفة المجتمع بهم، إن الغالبية في مجتمعنا لن ترحمهم ولن ينالوا بالنتيجة غير وصمة العار لذا فلن اسمح لنفسي أن أسبب لهم أي اذى نفسي، لأنني أدرك أن القليل أولئك الذين يشاركونني النظرة إليهم على أنهم ضحايا.

دعاية لا مثيل لها

يقول الدكتور وضاح: أننا نقدم لمرضى الإيدز العلاج والرعاية الصحية مجاناً، وفوق ذلك نقدم لهم دعماً مادياً شهرياً بحدود ٥٠ الف دينار، نعمل الآن على مفاتحة وزارة المالية لزيادتها، كما نقوم بتزويدهم بكسوة صيفية وأخرى شتوية لمرة واحدة في السنة. ويضيف الدكتور وضاح: "نحن الآن بصدد الاتفاق مع منظمة الصحة العالمية لدعم الأطفال الأيتام لآباء وأمهات توفوا بسبب مرض الأيدز، كما توصلنا إلى اتفاق مع وزارة العمل يقضي بتقديم منحة شهرية مقدارها ٤٠ الف دينار لأرامل وأيتام ضحايا الإيدز"، ويؤكد الدكتور وضاح حامد أن هذه الرعاية ليس لها مثيل في كل دول العالم بما فيها الدول المتقدمة!

أشخاص مؤمنون

يتجمع مرضى الإيدز كل شهر في مستشفى ابن زهر ليتلقوا الفحص الدوري والعلاج، ثم يعودوا ليمارسوا حياتهم كالآخرين يقول الدكتور وضاح رداً على سؤالي حول الضمانات التي تمنع انتقال المرض إلى غيرهم. إنهم أشخاص مؤمنون ويخشون الله، وفي نهاية كل شهر نجري لهم فحصاً، ونعرف من خلال هذا الفحص فيما إذا نقلوا المرض إلى غيرهم أم لا.

ويضيف الدكتور وضاح قائلاً: على عكس ما يشاع في الشارع فإن وزارة الصحة العراقية ومن خلال البرنامج الوطني للايدز لم تسجل أية حادثة خلال العامين الماضيين أي بعد سقوط النظام برغم اتساع عملية الفحص الدوري والفحص الروتيني في دوائر ومؤسسات الدولة، ويؤكد الدكتور وضاح أن إجراءات وزارة الصحة جيدة ويمكن تفعيلها بمساعدة الجهات ذات العلاقة، ومنها وزارة الداخلية خصوصاً في موضوعة فحص الوافدين.

إجراءات فحص الدم

يقول الدكتور حيدر الشمري مدير المركز الوطني لنقل الدم: "اول إجراء نتخذه بعد عملية سحب الدم هو عملية فحصه للتأكد من خلوه من الفايروس المسبب لمرض العوز المناعي الإيدز.. ولدينا أجهزة متطورة وحديثة لهذا الغرض.

وأوضح مدير البرنامج الوطني للايدز أن هناك الكثير من الإجراءات التي يتخذها العراق لمكافحة مرض الإيدز ومن ضمنها عملية فحص الوافدين، وعمليات فحص المتزوجين الجدد، وعمليات نقل الدم في المستشفيات مبيناً ان البرنامج الوطني تتبعه مراكز في كل محافظات البلاد تقوم بمهمات الفحص والتشخيص، وبالنسبة إلى الأدوية ذات المنشأ البشري يجري فحصها من قبل المركز الوطني للرقابة والبحوث الدوائية - ويوضح مدير البرنامج الوطني ان هذه الإجراءات إذا طبقت بنجاح تام كفيلة بالسيطرة على هذا المرض المميت وحماية المواطنين منه.

عاب وتداعيات

لم يخلف العقار الفرنسي **Factor 8** وراءه مرضى فحسب بل أثمرت تداعياته عن مآس اجتماعية وارامل، وأيتام، ومشاكل أخرى، في مجتمع ينظر بعين التجريم لضحايا هذا المرض، والخوف والقلق من معايشتهم أو الاختلاط بهم بالرغم من أن الطب أثبت أن المرض لا ينتقل إلا بثلاث وسائل هي نقل الدم أو مشتقاته، أو الممارسة الجنسية، أو عن طريق الأم الحامل للفايروس لطفلها.

و مع هذا فهؤلاء المرضى منبوذون، وقليلون من يتعايشون معهم بلا إجراءات احترازية إضافية.

العديد من الايتام من حاملي الفايروس تخلت عنهم عوائلهم بعد وفاة ذويهم الآباء والأمهات في مرض لا يمهل صاحبه أكثر من عشر سنوات كحد أقصى إلا ما ندر، برغم أن العلاج الذي يقوي مناعة الجسم ويقاوم الإيدز اطال اعمار وحياة أغلب المرضى، وهو علاج باهظ الكلفة يصل سعره إلى ١٠٠٠ دولار.

كما إن بعض العوائل، بمجرد وفاة ابنها المصاب قامت بطرد زوجته وأطفاله برغم أنهم غير مصابين بالايدز كما أثبت ذلك الفحص.

وكانت المصادفة وحدها هي التي أنقذت إحدى الفتيات كادت تتزوج مصاباً لولا أنها اتصلت بأهله وأخبروها بأنه في المستشفى، وعندما شكت في الأمر تابعته وسألت عنه، فعرفت أنه مصاب بالايدز وهو الأمر الذي أخفاه عنها.

مصابان بالايدز يتزوجان

يسمح لمرضى الإيدز بالزواج والسفر كما أخبرنا الدكتور وضاح مدير البرنامج الوطني للايدز، لكن بشرط أن يعرف الطرف الثاني في عقد الزوجية حقيقة مرض الطرف الأول.

ويقول الدكتور وضاح أن العاملين في البرنامج الوطني للايدز يرتبطون بعلاقات صداقة ومودة مع المرضى المصابين بالايدز، مبيناً أن الذين يدركون أن حياتهم لن تطول، يختلفون في نظرتهم إلى الحياة من مريض لآخر، ففي حين نشاهد أن هناك مرضى بائسين يعيشون بلا امل نرى آخرين ما زالوا يتطلعون إلى الحياة بأمل، وقبل فترة وجيزة تزوج اثنان من المصابين بالايدز وهم يحلمون الآن بأنجاب طفل، خاصة وان هناك أملاً في ان لا يحمل هذا الطفل الفايروس من والديه بعد ان أثبتت التجارب والدراسات نسبة ٤٠٪ فقط هي نسبة احتمال نقل المرض من الأم إلى الطفل.

Live and let live
World AIDS Campaign
2002-2003

لجنة قضائية

كل هذه المآسي والضحايا الذين أزهقت أرواحهم بفعل العقار الحامل للفيروس.. وشركة ماريو الفرنسية المصدرة للعقار في أمان الله!

وبعد سقوط النظام شكلت لجنة قضائية وصحية عراقية ضمت مدير الشؤون القانونية سالم عيدان وعدداً من الأشخاص الذين لا يملكون أدنى فكرة عن هذه القضية وتفاصيلها، وسافر الوفد إلى فرنسا لإقامة دعوى ضد شركة ماريو، وترأس الوفد مستشار وزارة الصحة السابق د. سعيد إسماعيل حقي، ورصد لهذه اللجنة مبالغ ضخمة لكنها عادت من فرنسا بخفي حنين وخسرت القضية لمصلحة الشركة الفرنسية في فضيحة هزت الأوساط الصحية في العراق ويقول المطلعون أن الوفد الذي تم إرساله إلى فرنسا يجهل ابعاد القضية تماماً، وان رئيسه استبعد جميع الأشخاص الذين كانوا على تماس مباشر بها. وتقول المصادر المطلعة في وزارة الصحة أن رئيس الوفد أمضى معظم وقته في إجراء مفاوضات ثنائية بدلاً من التركيز على حسم القضية قانونياً، كما فعلت كل من إسرائيل والمغرب وتمكنتا من كسب القضية في حين خسرها العراق، وتكبد بالتالي جميع تكاليف القضية.

شفافية مدير!!

وعلى مدى شهر كامل كنت أحاول اللقاء بمدير الشؤون القانونية الجديد في وزارة الصحة، لكني لم أتمكن من ذلك برغم أنه وعدني أكثر من مرة على إجراء هذا الحوار، في كل مرة كان يجد أعذاراً ومبررات غير مقنعة ويضرب عرض الحائط كل وعوده، حتى يئست تماماً ليتأخر إنجاز هذا التحقيق مدة أطول من دون أية معلومة أو إضافة يمكن الحصول عليها من مدير الشؤون القانونية!!